المناسبات القرآنية

لذكر التوبة والاستغفار

عند الأنبياء عليهم السلام

دراسة استقرائية تحليلية

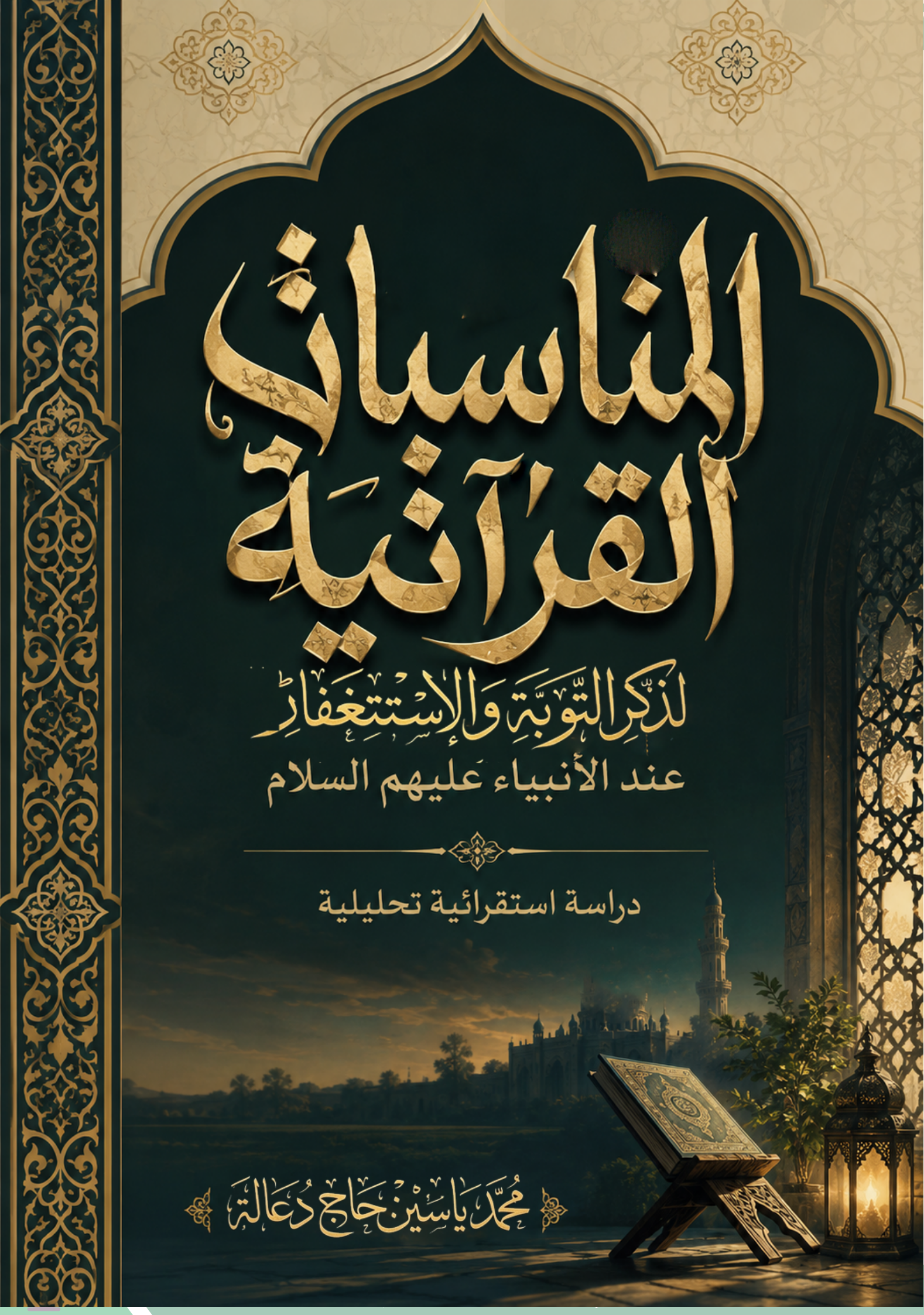

محمد ياسين حاج دعالة

www.alukah.net

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم القرآن وعلومه

المناسبات القرآنية لذكر التوبة والاستغفار عند الأنبياء عليهم السلام.

دراسة استقرائية تحليلية

إعداد:
محمد ياسين حاج دعالة
طالب ماجستير في جامعة القصيم
الرقم الجامعي: ٤٣١١١٨٣١٧

العام الجامعي
١٤٤٧هـ – ٢٠٢٦م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

www.alukah.net

مُقَدِّمَة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب، والصلاة والسلام على نبينا محمد، إمام المستغفرين وسيد التائبين، الذي كان يلهج بذكر ربه في كل حين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن القرآن الكريم لم يورد قصص الأنبياء وأخبارهم لمجرد الإخبار التاريخي، بل جعل منها مناهج حياة ونماذج يُقتدى بها في تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه. ومن أخص تلك المناهج ما يتعلق بالتوبة والاستغفار؛ إذ جاء ذكر هذه العبادات في سياقات ومقامات قرآنية تخدم المقاصد الكلية للسور والآيات.

ويأتي هذا البحث المعنون "**المناسبات القرآنية لذكر التوبة والاستغفار عند الأنبياء -عليهم السلام-**" ليسلط الضوء على تلك الروابط السياقية، مبيناً أن استغفار الأنبياء وتوبتهم كانت تقع في مقامات تتنوع بين الثناء على كمال العبودية، والترغيب في الخيرات، والاعتراف بالافتقار البشري، مما يجعل من دراسة هذه المناسبات ضرورة علمية لفهم منهج الأنبياء في التربية والدعوة.

أهداف البحث:

يهدف هذا الفصل إلى تحقيق عدة غايات علمية، أبرزها:

-الكشف عن التلازم الدقيق بين رتبة النبوة وديمومة الاستغفار، وبيان كيف يكون الاستغفار رفعةً للدرجات لا مجرد محو للسيئات.

-تحليل المنهج الدعوي للأنبياء من خلال دراسة مناسبات "الترغيب" "وتعداد النعم"، وبيان أثر الاستغفار في عمارة الأرض وبسط الرزق.

-إبراز الجوانب التعبدية في قصص الأنبياء من خلال دراسة مناسبات "الاعتراف" و"الطمع والرجاء"، وكيفية تمثلهم لمقام العبودية الحقة.

خطة البحث:

لتحقيق هذه الأهداف، تم تقسم هذا البحث إلى ستة مباحث، يتناول كل منها زاوية محددة، وهي كالتالي:

المبحث الأول: مناسبة المدح والثناء.

المبحث الثاني: مناسبة التّرغيب.

المبحث الثالث: مناسبة الطّمع والرّجاء.

المبحث الرابع: مناسبة الاعتراف بالذّنب.

المبحث الخامس: مناسبة تعداد أصول الدّعوة إلى الله.

المبحث السادس: مناسبة تعداد أصول النّعم.

www.alukah.net

المبحث الأول: مناسبة المدح والثناء

تعد مناسبة الترغيب من المقاصد القرآنية الظاهرة في الدعوة إلى التوبة والاستغفار، حيث يربط السياق القرآني بين الامتثال لهذه العبادات وبين حصول المنافع العاجلة والآجلة.

وتأتي التوبة والاستغفار في السياق القرآني أحياناً كجزءٍ من سياق المدح والثناء للأنبياء -عليهم السلام-، للدلالة على شدة صلتهم بالله -عز وجل- وسرعة فيئتهم إلى مرضاته. ويبرز هذا جلياً في قوله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ ﴾ [ص: ١٧].

حيث جاء ذكر أوبة داود -عليه السلام- وتوبته في سياق أمر الله لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- بالصبر على أذى المشركين؛ فذكر نعم الله على داود -عليه السلام- هو بمثابة وعد للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالتمكين، فكأن السياق يقول: "يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون"[(١)]. وفي هذا المقام، يرى الشنقيطي أن الله بيّن هذا الفضل الذي تفضّل به على داود في مواضع آخر كقوله تعالى: ﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥ ﴾ [ص: ٢٥]، حيث ربط سبحانه بين المغفرة وبين القرب والزلفى[(٢)].

وقد أشار الرازي والقرطبي إلى أن إضافة "عبدنا" إلى داود هي إظهار لشرفة، فصفة العبودية هنا تشريف عظيم، والأمر بالاقتداء به دليل على علو درجته في مكارم الأخلاق[(٣)].

ووصف الله داود -عليه السلام- بقوله: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾، وهي صيغة مبالغة يراد بها المدح والثناء، قال الماتريدي: أثنى الله -عز وجل- على داود وابنه سليمان -عليهما السلام- بالأوبة إليه والرجوع، وهو ما قال -عليه السلام- في داود -عليه السلام-: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾. فالقوة الحقيقية هي القوة في العبادة والصدع بالحق والقدرة على الرجوع إلى الله بالإقلاع والتوبة النصوح[(٤)]. كما أن كمال الإنابة عند داود تمثل في كثرة التضرع والدعاء، والرجوع إلى الله بالحب والتأله والخوف والرجاء[(٥)].

ورغم أن السياق في الآية سياق مدح وثناء، إلا أن بعض المفسرين ربطوا بين الثناء وبين تعظيم أمر المعصية، قائلين: أن ذكر قصته جاء تهويلا لأمر المعصية في أعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترأوا عليه من المعاصي؛ فإذا كان هذا حال نبي عظيم، فكيف بمن سواهم؟[(٦)]. وعقّب أبو حيان بقوله: "لما أثنى تعالى على داود -عليه السلام-

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٠٤).

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٦٧٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٢٦/٣٧٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٥٨).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٤/٤٩٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/٢٦).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٧١١).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/٢١٨).

www.alukah.net

بما أثنى، ذكر قصته هذه، ليعلم أن مثل قصته لا يقدح في الثناء عليه والتعظيم لقدره، وإن تضمنت استغفاره ربه"(١).

ويستمر السياق القرآني في سورة (ص) في إبراز صفة الأوبة ومكانتها، حيث انتقل الثناء من الأب إلى ابنه سليمان -عليه السلام-؛ قال السعدي: "لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان-عليهما السلام-(٢)، فقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ ﴾[ص: ٣٠].

وقد صدّر الله -عز وجل- الحديث عن سليمان -عليه السلام- بأسلوب المدح، وهو ثناء جامع يتناول ذاته وصفاته؛ لأن جملة نعم العبد هي ثناء ومدح له من جملة من استحقوا عنوان العبد لله، وهو العنوان الذي يقصد منه التشريف والتقريب(٣). وفي هذا الصدد، ذكر السعدي أن سليمان -عليه السلام- اتصف بما يوجب هذا المدح العظيم، وأهم تلك الصفات هي كونه أواباً(٤).

وقد أشار المفسرون إلى أن جملة ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ ﴾ جاءت في موضع التعليل؛ أي أنه إنما استحق وصف "نعم العبد" لأنه كان أواباً، وهذا يدل على أن كمال الإنسان وتحققه بمقام العبودية إنما يكون بكثرة الرجوع إلى الله تعالى في كل المهمات والأحوال(٥).

وفي نفس السورة، أثنى الله -عز وجل- على نبيه أيوب -عليه السلام- ومدحه بصفة العبودية وبأنه رجاع منيب، ليكون بذلك أسوة وقدوة لمن يصيبه الضر في الصبر والأوبة(٦)، وقد أشار النسفي إلى ملمح دقيق في قوله تعالى: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾، وهو أن أيوب -عليه السلام- لم يشغله البلاء عن المبلي سبحانه، فاستحق هذا المدح والثناء الرفيع(٧).

ويظهر من تتابع الآيات أن مدح أيوب بصفة ﴿ أَوَّابٌ ﴾ يعني رجوعه إلى الله في جميع أحواله؛ في حال الشدة والبلاء، وفي حال السعة والرخاء على حد سواء(٨).

ويستنبط من أقوال المفسرين أن تشريف "نعم العبد" إنما حصل لأيوب -عليه السلام- لكونه "أواباً"، مما يربط كمال العبودية بدوام الرجوع إلى الله(١). كما أشار ابن عاشور إلى أن أيوب -عليه السلام- كان أواباً لله من فتنة الضر

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٤٦/٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٧١٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥٣/٢٣).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٧١٢).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٣٨٩/٢٦)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١٥٤/٣).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٦/٧)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٥٢٩).

(٧) ينظر: التيسير في التفسير (٥١٢/١٢).

(٨) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦٣٥/٨).

www.alukah.net

والاحتياج، فلم يخرجه الكرب الشديد عن حد الرضا وعظيم الأوبة[٢]. وهذا التوجيه ذكره ابن عثيمين، حيث بيّن أن في هذه الآية ثناءً عريضاً على أيوب، وإشارة بمناقبه، حيث أمر الله نبيه محمد -ﷺ- أن يذكر قصة عبده ليتأسى به في صبره وأوبته[٣].

(١) ينظر: التفسير الكبير (٣٩٩/٢٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٥/٢٣).

(٣) ينظر: تفسير العثيمين (ص:١٩٣).

www.alukah.net

المبحث الثاني: مناسبة التّرغيب

تعد مناسبة الترغيب من أبرز الأساليب القرآنية التي استخدمها الأنبياء -عليهم السلام- لجذب النفوس نحو الحق؛ إذ جرت عادة القرآن بالترغيب في الطاعات من خلال بيان ما يترتب عليها من خيرات دنيوية وأخروية(١). ويتجلى هذا المنهج في دعوات الأنبياء -عليهم السلام- وفق الآتي:

أولاً: في دعوة نبي الله نوح -عليه السلام-

تظهر مناسبة الترغيب في دعوة نبي الله نوح -عليه السلام- من خلال خطابه الدعوي الذي رغب فيه بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب، كما رغبهم بخير الدنيا العاجل(٢)؛ وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح: ١٠].

وتشير أقوال المفسرين إلى أن دعوة نوح -عليه السلام- للاستغفار جاءت في سياق معالجة أزمات مادية واجتماعية حادة، حيث استخدم أسلوب الترغيب بما يوافق جبلة النفوس البشرية التي تميل إلى العاجل؛ قال قتادة: "علم نبي الله نوح أنهم أهل حرص على الدنيا، فقال هلموا إلى طاعة الله فإن من طاعته درك الدنيا والآخرة"(٣).

وفي تحليل هذه المناسبة، أشار الرازي والألوسي إلى أن النفوس مجبولة على محبة الخيرات العاجلة، فجاء الوعد بما هو أوقع في قلوبهم استمالةً لهم نحو الإيمان(٤). وأكد ابن كثير أن الاستغفار والطاعة سبب لفيض البركات من السماء والأرض(٥)، وهو ما وصفه السعدي بأنه "من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها"(٦).

ولم تقتصر دلالة الآيات على سياق قوم نوح فحسب، بل اعتبرها العلماء قانوناً إلهياً عاماً؛ حيث قرر ابن عطية أن الاستغفار سبب لنزول المطر في كل أمة. مستشهداً بفعل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الاستسقاء، وبما أثر عن الحسن البصري في وصاياه لمن يشكو الفقر أو العقم، مما يؤكد أن الاستغفار سبب كوني وشرعي لسعة الرزق وفلاح الدارين(٧).

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٨/ ٣٦٤)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/٥٠٦).

(٢) ينظر: تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٨٨٩).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٦/١٠١)، تفسير السمعاني (٦/٥٦).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٣٠/٦٥٢)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/٨١).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٨/٢٣٣).

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٨٨٩).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٣٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ثانياً: في دعوة نبي الله هود -عليه السلام-.

وعلى ذات المنهج، سلك هود -عليه السلام- مسلك الترغيب مع قومه "عاد" الذين كانوا في أمس الحاجة إلى ما رغبهم به هود -عليه السلام-؛ حيث يذكر مقاتل بن سليمان ملامح تلك الشدة بقوله: "وقد كان الله- تعالى- حبس عنهم المطر ثلاث سنين وحبس عنهم الولد"(١). وبناءً على هذا الواقع، جاء الوعد الإلهي بإحياء بلادهم وبسط الرزق لهم إن آمنوا(٢). فقال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢].

ومن هذا السياق، يربط النص القرآني بين الاستجابة الإيمانية وتدفق النعم؛ حيث يرى ابن كثير أن من اتصف بصفة الاستغفار والتوبة يسر الله رزقه، وسهل أمره، وحفظ شأنه وقوته(٣). ويقرر الرازي أن هذا الترغيب في النعم المادية يعد وسيلة لتحقيق سعادة الدارين، وهي غاية ما يطلبه البشر(٤). كما يذهب الطبري إلى أن التوبة جعلت شرطاً لإرسال المطر وقت الحاجة لإحياء البلاد من الجدب(٥). وفي ذات المنحى أكد ابن القيم أن الاستغفار والتوبة يضمنان المتاع الحسن في الدنيا، وهو رغد العيش وطيب الحياة قبل ثواب الآخرة(٦).

وقد استمر هود -عليه السلام- هذا الترغيب مستعطفاً قومه بما عزّ عليهم؛ فبما أنهم كانوا معجبين بقوتهم المادية ويقولون: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[فصلت: ١٥]، جاء الوعد القرآني ليبين أن مصدر القوة الحقيقية وزيادتها منوط بالصلة بالله بالاستغفار والتوبة، لا بالتمرد والإجرام(٧). ويؤكد ابن عاشور أن هذه الزيادة الموعودة تشمل كثرة العدد، وصحة الأجسام، وسعة الأرزاق؛ مما يحقق للأمة استقلالها ومنعتها(٨).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل (٢/٢٨٥).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/٣٧٩).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٣٢٩).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٨/٣٦٣).

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/٤٤٤).

(٦) ينظر: الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (ص:١٠٧).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/٦٦)، البحر المحيط في التفسير (٦/١٦٦).

(٨) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٩٦).

www.alukah.net

ثالثاً: في دعوة النبي محمد -ﷺ-

جاءت دعوة النبي -ﷺ- في مطلع سورة هود: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[هود: ٣]. لتمثل جوهر دعوته لقومه، وهي دعوة مترتبة على ما سبقها من إحكام آيات الكتاب وتفصيلها. فبعد الأمر بتوحيد الله -ﷻ-، جاء الأمر بالاستغفار والتوبة كمدخل للإصلاح، ومنهج للترغيب في ثمار هذا الامتثال.

أبان المفسرون أن المتاع الحسن الوارد في الآية يمثل حزمه من العطايا الإلهية المعجلة، فقد ذكر ابن عباس -رضي الله عنهما- أن المتاع الحسن هو التفضل بالرزق والسعة(١). وهو ما قرره الشنقيطي موضحاً أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه"(٢). وفي ذات السياق أشار الطبري إلى أن الخطاب موجه للمعرضين؛ حثاً لهم على الاستغفار والتوبة ليترتب على ذلك بسط الرزق والبركة في العمر(٣).

وقد جلى ابن تيمية العلة في هذا المتاع والتمكين؛ موضحاً أن الاستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب العذاب. فإذا ارتفع السبب اندفع العذاب وحل المتاع الحسن(٤). ويظهر من خلال تحليل الرازي أن المقبل على الله بالتوبة يظل منتظم الحال مرفه البال، مما يشير إلى أن المتاع الحسن يشمل الجوانب النفسية والواقعية معاً(٥). وهذا ما فصله ابن القيم مؤكداً أن المتقين المستغفرين يفوزون بالحياة الطيبة في الدارين، وأن حقيقة هذا المتاع هي: طيب النفس، وسرور القلب، وطمأنينة الصدر(٦).

ولم يقتصر الترغيب على العاجل، بل امتد ليشمل الآجل في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، حيث أورد الثعلبي والبغوي عن أبي العالية أن الدرجات في الجنة تزداد بكثرة الطاعات(٧). ولخص البيضاوي هذا المشهد بوصفه وعداً للموحد التائب بخير الدارين(٨).

---

(١) ينظر: زاد المسير (٣٥٧/٢).

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١١/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن بالقرآن (٣١٣/١٢).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦٣/٨).

(٥) ينظر: التفسير الكبير (٣١٥/١٧).

(٦) ينظر: الداء والدواء (ص:٢٨٠).

(٧) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣١٥/١٤)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤٣٩/٢)، التفسير البسيط (٣٤٧/١١).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٧/٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقد لاحظ أبو حيان لطيفة في الترتيب السياقي، حيث رأى أن الاستغفار ترتب عليه المتاع الحسن في الدنيا، بينما التوبة ترتب عليها إيتاء الفضل في الآخرة؛ مما يجعل الترغيب شاملاً لجميع أزمنة المكلف وحاجاته[١]. وعلق ابن عاشور على هذه الآية بقوله: "وهذا ترغيب في نبذ عبادة الأصنام وبيان لما في ذلك من الفوائد في الدنيا والآخرة"[٢].

وختاماً:

إن هذه المناسبة تؤكد أن الاستغفار في منهج الأنبياء -عليهم السلام- يمثل سبباً كونياً وشرعياً لسعة الرزق، وهي قاعدة دعوية لاستمالة النفوس نحو الحق من خلال ما تحبه من نفع عاجل، مع ضمان الفلاح الأخروي.

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٢١/١٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣١٧/١١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

المبحث الثالث: مناسبة الطّمع والرّجاء

يتناول هذا المبحث دلالة "الطمع والرجاء" في سياق استغفار الأنبياء -عليهم السلام-، وتحديداً في دعاء الخليل إبراهيم -عليه السلام-، بقوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾ [الشعراء: ٨٢]؛ مستعرضاً الأوجه التفسيرية والدلالات التربوية لهذا اللفظ في السياق القرآني.

وقد أورد المفسرون في صرف دلالة "الطمع" الواردة في الآية وجهين رئيسين:

الوجه الأول: الطمع بمعنى "اليقين": وهو ما روي عن الحسن البصري، كما نقله الواحدي(١)، وقد علّله الرازي بقوله: "أنه كان عالما بالمغفرة لكن لما لم يكن الجزم حاصلا من نفس الفعل أطلق عليه الطمع"(٢).

الوجه الثاني: الطمع بمعنى "الرجاء"، وهو المسلك الذي اختاره الطبري والقرطبي وأبو حيان(٣). ووصفه النسفي بأنه: "طمع العبيد في الموالي بالإفضال لا على الاستحقاق بالسؤال"(٤).

وقد استنبط العلماء من ارتباط ذكر الطمع بمقام الاستغفار عدة مقاصد، منها:

أولاً: التعليم واللطف بالأمة: ذكر الزمخشري أن الخليل -عليه السلام- لم يجزم القول بالمغفرة تعليماً لأمته؛ ليكون ذلك لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها(٥). وفي هذا السياق يربط ابن عاشور بين هذا المقام وبين توجيه المؤمنين لترك الالتفات لغير الله، وصرف وجوههم لإرضائه وحده؛ فإن رضا الله مقدم على ما دونه(٦).

ثانياً: التنبيه على ضلالة المشركين: لمح النسفي إلى أن السياق جاء تعريضاً بضلالة المشركين؛ فمعبود إبراهيم هو الذي يرجى منه غفران الخطايا، بخلاف أصنامهم التي لا تملك نفعاً ولا شفاعة(٧).

ثالثاً: إظهار خشية الأنبياء: قال ابن عطية: "وأوقف -عليه السلام- نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته"(٨).

---

(١) ينظر: التفسير البسيط (١٥٥/٩).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٤٩/٢٥).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٩٢/١٧)، الجامع لأحكام القرآن (١١١/١٣)، البحر المحيط في التفسير (١٦٦/٨)، اللباب في علوم الكتاب (٨٠/١٣).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٥٦٨/٢).

(٥) ينظر: الكشاف (٣٢٠/٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٤٩/٦).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (١٤٧/٢٨).

(٧) ينظر: التيسير في التفسير (٢٨١/١١).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٣٥/٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقد اقترن هذا الطمع عند الخليل -عليه السلام- بظرفية "يوم الدين"؛ وهو يوم الحساب والجزاء، وقد جلى ابن تيمية هذا المعنى ببيان أن هذا الاستغفار مرتبط بشفاعة سيد ولد آدم، حيث يذكر الخليل خطيئته في ذلك الموقف العظيم قائلاً: "نفسي نفسي"، مما يبرز شدة خوف الأنبياء ورجائهم في آن واحد(١).

ومما يؤكد هذه الدلالات، ما جاء في السياق ذاته من سورة الشعراء على لسان سحرة فرعون عقب إيمانهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ٥١]؛ حيث يبرز في هذا الموضع تلازم وثيق بين طمع الأنبياء وطمع الأتباع الصادقين.

وفي هذا الموضع ذكر الرازي أن قولهم: ﴿ نَطْمَعُ ﴾ يشير إلى كفرهم وسحرهم السابق، والطمع هنا يحتمل اليقين كما في قول إبراهيم -عليه السلام-، كما يحتمل الظن لعدم علم المرء بما يختم له(٢) ويؤيد الألوسي هذا المنحى باستظهاره أن الطمع قد يكون باقياً على أصل معناه (أي الرجاء) لعدم الوجوب لشيء على الله -عز وجل-، أو بمعنى التيقن بفضل الله وكرمه(٣).

كما أشار البقاعي في تفسيره لمحة دقيقة، وهي أن توسلهم بلفظ الطمع يوحي بأن أسباب السعادة محض فضل إلهي؛ مما يربط بين استغفار إبراهيم -عليه السلام- وبين استغفار السحرة في تجريد الافتقار لله وحده، والاعتراف بأن المغفرة ليست حقاً واجباً بل هي منّة تطلب بالطمع والرجاء(٤).

وعلى خلاف الطمع الذي يراد به مجرد الأماني، نجد أن هذا الطمع اقترن بالإيمان، كما ظهر في قولهم: ﴿ أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. وهنا يرى ابن عاشور أن هذه الجملة بيان للمقصود من انقلابهم إلى الله، وفيها دلالة على رسوخ إيمانهم، حيث استعملوا لفظ "الطمع" تأدباً مع الله الذي يفعل ما يريد، مع اتخاذهم أولية الإيمان وسيلةً وقربةً لرجاء هذه المغفرة(٥).

(١) ينظر: جامع المسائل (٦/٢٧٩).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٢٤/٥٠٤).

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/٨٠).

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/٣٦).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/١٢٨).

www.alukah.net

المبحث الرابع: مناسبة الاعتراف بالذّنب

آدم –عليه السلام–.

يمثل الاعتراف بالذنب ركناً أساسياً في التوبة النصوح، ومظهراً جلياً من مظاهر العبودية والافتقار إلى الله تعالى. وقد برز هذا المفهوم في أسمى صوره عند الأنبياء –عليهم السلام–، وعلى رأسهم أبونا آدم حيث اقترن طلب المغفرة بتقديم الاعتراف بظلم النفس في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ذكر البغوي أن الظلم في هذا السياق يعني: الإضرار بالنفس من خلال ارتكاب المعصية، وما يترتب على ذلك من فوات الثواب ونزول العقاب(١). ويرى الماتريدي أن في الآية دلالة على وقوع الظلم بمخالفة النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[البقرة: ٣٥](٢).

وقد فصّل ابن تيمية في دلالات هذا الاعتراف؛ مبيناً أن المغفرة المطلوبة هي "إزالة السيئات"، والرحمة هي "إنزال الخيرات"، وهو اعتراف مبني على شدة الافتقار التام للخالق سبحانه(٣). وجاءت هذه الآية في سياق الاستجابة الفورية بعد المعاتبة الإلهية؛ حيث بادر آدم –عليه السلام– بالاعتراف والافتقار، بلا تسويف ولا تبرير. وفي هذا الصدد يشير الطبري إلى أن هذا الاعتراف جاء على نقيض من جواب اللعين إبليس؛ فآدم وحواء أقرا بالذنب وسألا الرحمة، بينما استكبر إبليس(٤). وأكد السمعاني أن هذا الاعتراف هو الفارق الجوهري بين المعصيتين، فآدم تاب، وإبليس أصرّ(٥). ومن مقتضيات هذا الفرق أن آدم –عليه السلام– اعترف بكونه هو الفاعل للخطيئة، ولم ينسب الأمر للقدر احتجاجاً كما فعل إبليس(٦).

إن هذا المسلك النبوي في الاعتراف صار سنة متبعة لدى الصديقين والعلماء؛ إذ يقول ابن القيم: "وما زال السلف معترفين بذلك كقول أبي بكر وعمر وابن مسعود أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه"(٧).

---

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (١٨٥/٢)، اللباب في علوم التنزيل (٦٥/٩).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (٤٣٢/١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧٧/٢٩).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١٥/١٠).

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (١٧٢/٢).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢٩/٢).

(٧) ينظر: الفوائد (ص: ٢١٠).

www.alukah.net

موسى -عليه السلام-

سار نبي الله موسى -عليه السلام- على نهج أبيه آدم -عليه السلام- في تحقيق مقام العبودية بإظهار الاعتراف بالذنب، وهو ما يبرز كمال افتقاره وانقطاعه إلى الله تعالى؛ إذ يقول سبحانه حكاية عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦]. وجاء هذا الاعتراف بعد حادثة الوكز التي أفضت إلى موت القبطي؛ حيث استشعر موسى -عليه السلام- عظم المسؤولية فور وقوع الحادثة، فنسب الفعل إلى عمل الشيطان، وسمّاه ظلماً لنفسه، وبادر بطلب المغفرة من ربه(١).

وقد أورد المفسرون في بيان مراد موسى -عليه السلام- بقوله: ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾، عدة توجيهات:

أولاً: القتل قبل الإذن: ذهب المكي والبغوي وابن العربي إلى أن الظلم هنا هو قتل القبطي من غير أمر شرعي سابق(٢)؛ إذ نقل الطبري عن ابن جريج قوله: "بقتلي، من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر. ولم يؤمر"(٣).

ثانياً: مخالفة الأولى أو ترك المندوب: يرى الرازي وابن عادل أن هذا الاعتراف قد يكون على سبيل الاتضاع لله والاعتراف بالتقصير في القيام بحقوقه، أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب(٤).

ثالثاً: التبعات الدنيوية للفعل: أشار الخازن إلى احتمال أن يكون المراد بظلم النفس هو تعريضها لخطر القتل والبطش من قبل فرعون إذ علم بالخبر، فكان طلب المغفرة هنا يتضمن معنى الستر والنجاة من كيد آل فرعون(٥).

رابعاً: فرط الغضب وعدم ملك النفس: لفت ابن عاشور إلى أن موسى -عليه السلام- سمى فعله ظلماً لنفسه، لأنه كان نتيجة فرط الغضب انتصاراً للرجل الذي من شيعته، وكان بمقدوره أن يملك نفسه ويضبط غضبه(٦).

ولم يتوقف أثر هذا الاعتراف عند الحياة الدنيا، بل امتد ليكون سبباً في الإشفاق يوم القيامة؛ فقد ذكر ابن عطية والقرطبي أن موسى -عليه السلام- لم يزل يعدد هذا الفعل على نفسه رغم علمه بمغفرة الله له، حتى إنه يعتذر عن

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٨/٢٩٣).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥٥٠٥)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/٥٢٧)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/٤٩٣)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/٦٣٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/١٩١).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٢٤/٥٨٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/٣٦٠).

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/٣٦٠).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠/٩١).

www.alukah.net

الشفاعة العظمى يوم القيامة بقوله: " وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي"(١). وهذا الاعتراف يدل على أن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم، استعظاماً لحق الله تعالى وإجلالاً لمقام ربوبيته(٢).

يونس -عليه السلام-.

يعد نداء نبي الله يونس -عليه السلام- نموذجاً فريداً في صياغة الاعتراف بالذنب؛ إذ لم يكتفِ بمجرد الإقرار بالخطأ، بل قدّم بين يدي توبته اعترافاً بكمال الألوهية وتنزيه الخالق سبحانه، مما يجعل هذا الدعاء مذهباً للهم وكاشفاً للكرب. وقد وردت هذه المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أولاً: حقيقة الاعتراف وعلاقته بالتوبة.

نقل الطبري والواحدي وابن الجوزي عن الحسن وقتادة أن هذا القول هو عين التوبة من الخطيئة ومراجعة النفس(٣). وقد أشار المفسرون إلى حكمة تصدير الدعاء بالتوحيد والتنزيه قبل ذكر الاعتراف بالذنب؛ إذ ذهب القرطبي إلى أن هذا الاعتراف بالظلم جاء على سبيل "التلويح" بطلب المغفرة دون التصريح بها، وهو أبلغ في مقام الانكسار والافتقار(٤). ثم فصّل ابن القيم هذا المعنى مبيناً أن هذا التصدير يتضمن اعتراف العبد بأنه في قبضة ملكه وتحت تصرفه، كما يقاد من أمسك بناصيته شديد القوى(٥). وفي ذات السياق لخص السعدي هذا المشهد بقوله: "أقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته"(٦).

ثانياً: توجيه المفسرين في حقيقة الظلم في حق يونس -عليه السلام-.

تنوعت توجيهات المفسرين في تحديد حقيقة الظلم الذي اعترف به يونس -عليه السلام-، فذكر الماوردي أن الظلم كان لنفسه في الخروج من غير إذن، مبيناً أنه كان تأديباً لا عقوبة(٧)، وهو ما أكده ابن جزي بقوله: "والظلم الذي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (١٧٤٥/٤)، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾، [الإسراء: ٣]، رقم الحديث: (٤٤٣٥)، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٨٠/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٣)، فتح القدير (١٩٨/٤).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٣).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٨٠/١٦)، التفسير البسيط (١٦٩/١٥)، زاد المسير في التفسير (٢١٠/٣).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٣٤/١١).

(٥) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٣٥٩/٢).

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٥٢٩).

(٧) ينظر: النكت والعيون (٤٦٧/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٨/٢).

www.alukah.net

اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم". ومن جانبه يرى ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ فيه مبالغة في الاعتراف بظلم النفس الناتج عن التقصير، أو العجلة، أو خطأ الاجتهاد[١].

ومحصلة هذا الاعتراف تظهر فيما حلّله ابن تيمية من منظور عقدي؛ إذ يرى أن قوله: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ هو اعتراف بتوحيد الإلهية المتضمن لدعاء العبادة والمسألة، وقوله: ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ هو اعتراف بالذنب يتضمن بالضرورة طلب المغفرة[٢]. لأن الإقرار بالظلم في مقام التوحيد هو استمطار لرحمة الله وعفوه.

❁❁ ❁❁ ❁❁

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣٢/١٧)

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤٣/١٠).

www.alukah.net

المبحث الخامس: مناسبة تعداد أصول الدّعوة إلى الله

أولاً: نبي الله نوح -عليه السلام-

استهلّ نبي الله نوح -عليه السلام- دعوته لقومه بوضع الركائز الأساسية التي يقوم عليها صلاح العبد ونجاته؛ ويظهر من استقراء نصوص المفسرين أن أصول الدعوة التي علّق عليها نوح -عليه السلام- استحقاق قومه للمغفرة قد انحصرت في ثلاثة أركان جوهرية، كما أشار الرازي،(١)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ [نوح: ٣].

وتنطوي في دعوة نبي الله نوح-عليه السلام- الملامح الأولى لمنهج الأنبياء في الربط بين إصلاح الاعتقاد وبين المقصد الأسمى للبعثة؛ إذ قامت دعوته قائمة على أصول منهجية واضحة، وقد تتابعت كلمة السلف والمفسرين على تأصيل هذه الأركان؛ فقد روى الطبري بإسناده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ قال: " أرسل الله المرسلين بأن يعبد الله وحده، وأن تتقى محارمه، وأن يطاع أمره"(٢). وفي هذا المعنى ذكر السمعاني أن الغاية القصوى من بعثة الرسل هي تحقيق هذه الثلاثية (العبادة والتقوى والطاعة)، فقال: "وهذا هو الذي بعث الله لأجله الرسل، فإن الله تعالى ما بعث رسولا إلا ليعبدوه ويتقوه ويطيعوا رسوله"(٣).

وقد اعتنى المفسرون ببيان دقة التلازم بين هذه الأصول وتمايز دلالاتها عند الاجتماع؛ حيث ذكر الماتريدي أن الجمع بين (العبادة والتقوى) يقتضي صرف العبادة إلى إتيان الأفعال المأمور بها، وصرف التقوى إلى مجانبة المهالك والمحذورات، وهي في ذلك كاجتماع الإيمان والإسلام؛ إذ اجتمعا في نص واحد افترقا في المعنى، وإذا انفرد أحدهما شمل الآخر(٤).

وفي ذات المنحى البياني، وجّه النسفي إلى نكتة بلاغية في الآية؛ أن نوحاً -عليه السلام- أضاف العبادة لله وأضاف الطاعة لنفسه في قوله: ﴿ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ ؛ لأن الطاعة قد تكون للمخلوق فيما هو من أمر الله، بخلاف العبادة التي هي حق خالص لله وحده لا شريك له(٥). أما من حيث الترتيب المقاصدي فيرى الشنقيطي أن تقديم النذارة وما يتبعها من دعوة للعبادة والتقوى كان لإقامة الحجة الإلهية؛ مبيناً أن المغفرة ليست أمنية، بل هي ثمرة لسلوك طريق التوبة والعودة إلى أصول الدين التي بعث بها نوح -عليه السلام-(٦).

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (٦٤٩/٣٠)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٣٣٠/١٤).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٨٩/٢٣).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني (٥٣/٦).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة (٢٢٠/١٠).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٥٤١/٣).

(٦) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٠٦/٨).

www.alukah.net

ثانياً: نبي الله هود –عليه السلام–

يمثل سياق دعوة نبي الله هود –عليه السلام– لقومه "عاد" نموذجاً تطبيقياً في كيفية ترتيب أصول الدعوة؛ حيث لم يقتصر الخطاب على طلب الاستغفار فقط، بل جاء مسبوقاً ومحفوفاً بركائز عقدية ومنهجية يرجى بها قبول هذا الاستغفار. وذكر المفسرون أن أول ركيزة في دعوته هي توحيد الله وإفراده بالعبادة كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

وقد أشار الألوسي أن تصدير الخطاب بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾ إنما كان استعطافاً لهم، ثم أمرهم بالعبادة –أي بالتوحيد– لأنهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام، ودل على ذلك التعقيب بقوله: ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [١] وفي هذا الإطار، أوضح الرازي أن هذا هو النوع الأول من التكاليف، والمتمثل في النهي عن الأوثان التي اختلقوها، وإثبات الألوهية لمن يستحقها سبحانه[٢]. وهو ما أكد البقاعي مبيناً أن هوداً –عليه السلام– دعا إلى أصل الدين كما هو دأب سائر النبيين والمرسلين.[٣].

ومن المناسبات الجلية في سياق الدعوة عند هود –عليه السلام–، تعقيبه ببيان عدم طلب الأجر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾ [هود: ٥١] وقد أوضح البيضاوي وأبو السعود، أن نفي الأجر فيه إزاحة للتهمة وتمحيص للنصيحة؛ لأن النصيحة المشوبة بالمطامع تكون بمعزل عن التأثير والقبول[٤].

كما لفت النسفي إلى شمولية هذا المبدأ في دعوات المرسلين بقوله: "ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجح ولم تنفع[٥]. وبناءً عليه، بيّن ابن كثير أن هوداً –عليه السلام– قد قطع رجاءه مما في أيدي قومه بربط أجره بالخالق الذي فطره؛ فالفطرة هي أقدم النعم الفائضة التي تستوجب الشكر، ومن أعظم صور هذا الشكر هو القيام بتبليغ الرسالة ومحض النصح للخلق دون انتظار مقابل منهم[٦].

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٧٨/٦).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٣٦٢/١٨)،

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٠٦/٩).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٧/٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢١٦/٤).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٦).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣٢٩/٤).

www.alukah.net

ثالثاً: نبي الله صالح -عليه السلام-

لقد اتفقت كلمة الرسل وتوحدت دعوتهم في البدء بالأصل العقدي؛ حيث يقرر الماتريدي: أن الرسل صلوات الله عليهم جميعاً أول ما دعوا قومهم إنما دعوا إلى توحيد الله وجعل العبادة له؛ لأن غيره من العبادات إنما يقوم بالتوحيد"[١]. وهذا ما وافقه الرازي ببيانه أن الأنبياء -عليهم السلام- يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، ثم ينتقلون في الأهم ثم الأهم[٢]. ويعد هذا الاتفاق بين الرسل - مع تباعد أعصارهم وتنائي ديارهم- دليلاً قطعياً على صدق كل منهم[٣].

وفي هذا المساق، تبرز في دعوة صالح -عليه السلام- لقومه "ثمود" المناسبة الظاهرة بين التذكير بأصل الخلقة وعمارة الأرض، وبين الأمر بالاستغفار والتوبة؛ إذ بدأ صالح -عليه السلام- دعوته بتقرير التوحيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[هود: ٦١]، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له الخالق الرازق[٤].

ثم ساق الدلائل الدالة على كمال قدرته تعالى بقوله ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ وأوضح الطبري أن المعنى هو بدء خلق الإنسان من الأرض التي خُلق منها آدم[٥]، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾، أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض[٦]. وقد أشار الألوسي وابن عاشور إلى نكتة دقيقة في هذا السياق؛ وهي أن ما ذكر من صنوف إحسانه تعالى (الإنشاء والاستعمار) هو الداعي الحقيقي للاستغفار والتوبة، فكانت هذه النعم علة للأمر بترك الشرك والفساد[٧].

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (١٤٨/٦).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٣٨٤/١٨).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٥٠/٩).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣٣١/٤)

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن بالقرآن (٤٥٣/١٢).

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٣٨٤).

(٧) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٨٦/٦)، التحرير والتنوير (١٠٨/١٢).

www.alukah.net

رابعاً: نبي الله شعيب -عليه السلام-

اقترنت دعوة نبي الله شعيب -عليه السلام- بمناسبات سياقية دقيقة، ربطت بين إصلاح الاعتقاد وإصلاح المعاملات المالية كشرطين أساسيين لصحة الاستغفار والتوبة؛ إذ لم تقتصر دعوته على الجانب التعبدي المحض، بل شملت أبعاد العدل الاجتماعي والمادي.

ويظهر من استقراء آياته أن البدء كان بآكد الأصول وهو التوحيد؛ فقد أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[هود: ٨٤]؛ ذلك أن التوحيد هو ملاك الأمر وأول ما يجب على المكلفين قاطبة(١)

وفي هذا الصدد أشار الزمخشري والنسفي إلى أن الخطاب بترك المعاصي المالية كان مشروطاً بالإيمان؛ إذ إن فائدة الانكفاف عن الحرام إنما تظهر وتثمر الثواب الأخروي مع وجود أصل الإيمان(٢).

وبعد تقرير الأصل العقدي، انتقل شعيب -عليه السلام- إلى إصلاح الواقع الاجتماعي الذي غلب عليه الجشع، فنهى قومه عن بخس الناس حقوقهم في المكيال والميزان. وذكر الماوردي والرازي أن أهل مدين قد اتخذوا البخس والتطفيف ديدناً وعادة مستمرة، فأُمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف(٣).

ومن الجوانب التفسيرية المهمة ما أوضحه الماتريدي من أن تخصيص نقصان الكيل والوزن بالذكر في دعوة شعيب -عليه السلام- إنما كان لظهور هذا الذنب فيهم، وليس لنفي وجود مآثم أو جرائم أخرى في مجتمعهم، وهو في ذلك يشبه حال قوم لوط الذين خصوا بالنهي عن فاحشتهم لكونها كانت الظاهرة والشائعة فيهم، وإن وجدت غيرها من المعاصي(٤).

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/٢٣١).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٤١٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/٧٨).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٢/٤٩٥)، التفسير الكبير (١٨/٣٨٤).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/١٦٧).

www.alukah.net

خامساً: نبي الله محمد -عليه السلام-.

تظهر في مطلع سورة هود صلة وثيقة بين إحكام الكتاب وتفصيله، وبين دعوة النبي -ﷺ- قومه إلى الاستغفار والتوبة؛ إذ يتبين من السياق القرآني أن الغاية من هذا الإحكام والتفصيل هي تمحيض العبادة لله وحده، ثم رتب على ذلك مقام النذارة والبشارة في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾[هود: ٢].

وقد ذهب المفسرون -كأبي السعود والألوسي وابن عاشور- إلى أن مضمون هذه الآية هو التفسير الحقيقي لغرض إحكام الآيات وتفصيلها؛ فالنهي عن الشرك وإيجاب عبادة الله هو أصل الدين وملاك الطاعات قاطبة(١).

وفي هذا السياق أشار الرازي إلى أن هذه الآية تشتمل على وجهين من التكليف: المنع من عبادة غير الله، وهو ما يستوجب النذارة، والترغيب في عبادة الله، وهو ما يستوجب البشارة(٢). كما لفت الخازن والقاسمي إلى أن المراد بالعبادة هنا هو التوحيد الخالص وخلع الأنداد، وهو ما تدعو إليه آيات الكتاب بلسان الحال والدلالة(٣).

أعقب سبحانه أصل التوحيد ببيان وظيفة النبي -ﷺ-، وذلك بقوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾؛ حيث ذكر الرازي وابن عاشور أن الجمع بين النذارة والبشارة جاء مقابلاً للجملة الأولى؛ فالنذارة ترجع إلى النهي عن عبادة غير الله، والبشارة ترجع إلى طلب عبادة الله وحده(٤).

ويتبين من تقديم وصف النذير في الذكر -كما ذهب ابن عطية وأبو حيان- أن التخويف والتحذير من النار هو الأهم والمقدم في مقام دعوة المعرضين والمشركين؛ ليكون ذلك تمهيداً لطلب الاستغفار والتوبة الذي يعقب هذا التأصيل(٥).

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٨٣/٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٩٣/٦)، التحرير والتنوير (٣١٥/١١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (٣١٤/١٧).

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٧١/٢)، محاسن التأويل (٧٢/٦).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٣١٥/١٧)، التحرير والتنوير. (٣١٦/١١).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٤٩/٣)، البحر المحيط في التفسير (١٢٠/٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

المبحث السادس: مناسبة تعداد أصول النّعم

ارتبطت دعوة الأنبياء -عليهم السلام- ببيان النعم التي يتقلب فيها العباد، وجعلها مناسبة محفزة للاستغفار والإنابة؛ إذ رتب السياق القرآني على التوبة آثاراً نافعة ونتائج مطلوبة تتعلق بخيري الدنيا والآخرة. وفي هذا السياق، يقرر ابن القيم أن سورة (هود) هي سورة النعم التي عدد الله سبحانه فيها أصول النعم وفروعها، مبيناً الحكمة من هذا التعداد بقوله: "فعرف عباده أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعاف هذه بما لا يدرك تفاوته، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعما أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تمام التوفية"(١). وفيما يلي تفصيل ذلك في دعوات الرسل:

أولاً: نبي الله نوح -عليه السلام-.

استخدم نبي الله نوح -عليه السلام- في خطابه الدعوي منهجاً يجمع بين الترغيب والترهيب، فبعد أن وجّه قومه إلى لزوم الاستغفار، انتقل بهم إلى مقام الترغيب بذكر ثمرات الإنابة(٢). وتعد دعوته -عليه السلام- نموذجاً في مخاطبة الغرائز البشرية وميلها الفطري إلى متاع الحياة الدنيا لاستمالتها نحو الحق؛ إذ إن النفوس مجبولة على محبة العاجل من الخيرات، ومن ثم أعلم الله تعالى عباده أن الإيمان به يضمن لهم الفلاح في الآخرة مع الغنى والسعة في الدنيا، تلطفاً بهم واستمالة لقلوبهم نحو الاستغفار(٣).

وفي هذا الإطار، أشار المفسرون إلى أن نوحاً -عليه السلام- رأى في قومه حرصاً شديداً على الدنيا، فحثهم على الاستغفار بتعداد منافعه العاجلة؛ وفي ذلك يقول قتادة: "رأى نوح قوما تجزعت أعناقهم حرصا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإن فيها درك الدنيا والآخرة"(٤)؛ وذلك أن ما وعدهم به من متاع الدنيا هو مما يميل طبع البشرية طبع البشرية إليه(٥).

وبناءً عليه، سلك نوح -عليه السلام- مسلك الترغيب بخير الدنيا العاجل المنبثق عن بركة الاستغفار، فذكر أصولاً من النعم المادية، مبيناً ذلك في قوله تعالى: ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ ﴾ [نوح: ١١]، والمراد بالسماء هنا المطر، "والمدرار"

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٢٦/٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢٣٣/٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٨٨٩).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٦٥٢/٣٠).

(٤) أخرجه الطبري: (٢٩٤/٢٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٠/٨)، إلى عبد ابن حميد وابن المنذر، ينظر: النكت والعيون (١٠١/٦).

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٤٥/٤).

www.alukah.net

هو التحلب بالقطر وتتابع الدرور[١]، وقد خصّصه هارون التيمي بالمطر الذي يهطل في إبّانه؛ أي: في وقته النافع[٢].

ثم أتبع ذلك بقوله سبحانه: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[نوح: ١٢]، وهذا الإمداد الإلهي لا يقتصر على نوع محدد، بل يستغرق صنوف المال كافة[٣]. ثم ختم تعداد النعم بقوله: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾، وهي من أسمى لذات الدنيا ومطالبها[٤]، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بها جنات الدنيا وأنهارها زيادة في الترغيب الحاضر[٥].

ويظهر من هذا السياق أن تقديم الوعد بالمنافع الحاضرة والفوائد العاجلة يهدف إلى الترغيب في بركات الإيمان ونتائج الطاعة في الدارين[٦]. وفي هذا الملحظ دلالة مستمرة في سياقات القرآن على أن الله يجازي عباده الصالحين بطيب العيش، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[النحل: ٩٧]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦][٧].

وعلى الرغم من هذا التحفيز المادي، إلا أن الخطاب النبوي لم يغفل المقصد الأسمى والغاية الكبرى وهي الآخرة؛ فذو الألباب ينظرون إلى حسن العاقبة ومآل الأمر، ولذلك تختلف البشارات باختلاف أحوال الناس، فمنهم من يبشر بكثرة المال والولد استمالة لقلبه، ومنهم من يرغب في الآخرة فحسب لسمو مرتبته الإيمانية[٨].

---

(١) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٣٣٤/١٤).

(٢) أخرجه ابن حاتم (٢٠٤٥/٦)، وينظر: التيسير في التفسير (٢٥/١٥).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٦٥٢/٣٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٨٨٩).

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨١/١٥).

(٦) ينظر: الكشاف: ٦١٧/٤).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٩/٢٩).

(٨) ينظر: تأويلات أهل السنة (٢٢٦/١٠).

www.alukah.net

ثانياً: نبي الله هود عليه السلام.

وعلى ذات النهج الدعوي ارتبط الاستغفار والتوبة في دعوة نبي الله هود-عليه السلام- بغاية تربوية ونفعية؛ حيث ساق هود -عليه السلام- لقومه البشارة بتحصيل السعادات الدنيوية والزيادة في أصول النعم التي جبلوا على الافتخار بها؛ وجعل ذلك جزاءً عاجلاً لإنابتهم واستغفارهم.

لقد كان قوم عاد مخصوصين بنوعين من الكمال الدنيوي: طيب البساتين والمزارع التي وُصفت بأنها ﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٨]، وكمال القوة والبطش التي جعلتهم يقولون: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]. ولما كان القوم مفتخرين بهذين الأمرين، وعدهم هود -عليه السلام- بأن الاستغفار والتوبة سبب لزيادة هذه القوة وكمال تلك النعمة[(١)]، وقد بين ابن عطية أن هذه هي عادة الله في عباده؛ حيث حرضهم على استنزال المطر وسعة الرزق بالإيمان والإنابة[(٢)].

وقد تضمنت دعوة هود -عليه السلام- وعداً بصلاح الحال في الدنيا وبركة الأرزاق، وهو يظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[هود: ٥٢]، حيث أشار السمعاني والنسفي وابن عادل إلى أن ﴿ مِّدْرَارًا ﴾جاء على أبنية المبالغة (مفعال)، وتعني: المطر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع[(٣)].

وفي هذا السياق ذكر الرازي أن السماء في الآية هي مادة حصول النعم، فإرسالها مدراراً إشارة إلى تكثير أصول الأرزاق؛ لأن مادة عيشهم وبساتينهم قائمة عليها[(٤)].

أما قوله تعالى: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾، فيظهر من أقوال المفسرين إلى أن القوة الموعود بها تشمل: المال، والولد، والشدة في الأبدان، والعدد، فكل هذه الأمور مما يتقوى بها الإنسان"[(٥)]. وخلص ابن عطية إلى أن ظاهر الآية هو العموم في جميع ما يحسن الله تعالى به إلى العباد من خيرات عاجلة وآجلة[(٦)]. كما نقل الألوسي قولاً آخر مفاده أن الزيادة قد تعني قوة في الإيمان مضافة إلى قوة الأبدان، لتكتمل لهم سعادة الدارين[(٧)].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (٣٦٣/١٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٠/٣).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني (٤٣٥/٢)، التيسير في التفسير (٢١٧/٨)، اللباب في علوم الكتاب (٥٠٦/١٠).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٣٦٣/١٨).

(٥) ينظر: التفسير البسيط (٤٤٥/١١)، التفسير الكبير (٣٦٤/١٨).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٠/٣).

(٧) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٧٩/٦).

www.alukah.net

ثالثاً: نبي الله محمد ﷺ

وفي ختم هذه المناسبات، قرر السياق القرآني في مطلع سورة هود أصول التكليف المتمثلة في التوحيد والنذارة والبشارة، رتب عليها نتائج مطلوبة تتعلق بخيري الدنيا والآخرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]. فقد وعد الله الموحدين المستغفرين بالمتاع الحسن، وأصل مادة الامتاع في اللغة تدل على الإطالة(١)، فالمعنى المراد هو أن يطيل الله نفعكم في الدنيا بمنافع مرضية(٢).

وتعددت أنظار المفسرين في كنه هذا المتاع؛ فذهب ابن عباس ومقاتل إلى أنه سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا(٣). بينما مال فريق آخر -كالسمعاني والبغوي – إلى كونه مقاماً إيمانياً يتمثل في الرضا بالميسور والصبر على المقدور(٤). ووجّه ابن عطية وأبو حيان وصف المتاع بالحسن، لكونه عيشاً طيباً نابعاً من رجاء المؤمن في ثواب الله وفرحه بالتقرب إليه، وهو ما يفتقده الكافر وإن أوتي زينة الدنيا(٥)، وهذا لا ينافي كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، لأن الراحة المقصودة هي طمأنينة القلب بالله حتى تعدّ المحنة منحة(٦).

وبناءً عليه، جاء التقييد بالأجل المسمى (وهو الموت ونهاية العمر)؛ ليكون موعظة وتنبيهاً على أن هذا المتاع – وإن وصف بالحسن– فله نهاية، وهذا مما يؤكد أنه متاع الدنيا الفاني(٧).

وفي قوله تعالى﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، انتقل السياق من نعيم الدنيا إلى سعادة الآخرة، وهي منازل الجنة التي تتفاضل بتفاضل الطاعات في الدنيا(٨)؛ فالمعنى: أن يعطى كل ذي عمل صالح جزاء فضله وثوابه، فسمي الجزاء باسم الابتداء(٩).

ويظهر مما أشار إليه أبو السعود والألوسي أن هذه الجملة تبين الحكمة فيما قد يعسر فهمه من تفاوت أحوال العاملين في الدنيا؛ فرب إنسان له فضل طاعة لا يتمتع في الدنيا أكثر من غيره، فيكون تمام الوفاء في الآخرة حيث لا مرد لفضل الله(١٠).

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٥/٣٣٤٤)، زاد المسير في التفسير (٢/٣٥٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٤).

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٦/١٣٩).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل (٢/٢٧١)، زاد المسير في علم التفسير (٢/٣٥٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/١٢).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني (٢/٤١٢)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/٤٣٨).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/١٤٩)، البحر المحيط في التفسير (٦/١٢١)..

(٦) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/١٩٤).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٣١٧).

(٨) ينظر: الكشاف (٢/٣٧٨).

(٩) ينظر: التفسير البسيط (١١/٣٤٦).

(١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/١٨٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/١٩٥).

www.alukah.net

وبهذا ينجلي لنا أن هذه المناسبات تمثل ركائز دعوية وتربوية، صاغها الوحي الإلهي لتكون نبراساً لمن رغب في سلوك طريق الأوبة، مقتدياً بصفوة الخلق –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

www.alukah.net

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث خلصت إلى جملة من النتائج، أبرزها:

١- أن استغفار الأنبياء لم يكن مقصوراً على محو الزلات، بل كان مقاماً تعبدياً يتنوع بين المدح والثناء تارة، وبين الافتقار والاعتراف بمقام العبودية تارة أخرى، مما يجعله وسيلة لرفع الدرجات والقرب من الله.

٢- تجلى الربط القرآني بين الإصلاح الإيماني وبين عمارة الأرض وبسط الرزق؛ حيث أثبتت الدراسة أن الاستغفار يمثل قانوناً كلياً لاستجلاب النعم المادية والبركات الدنيوية، كما في دعوات نوح وهود وصالح -عليهم السلام-.

٣- إبراز المنهج الدعوي للرسل في تقديم أصول الدين والتوحيد كشرط أساسي لقبول التوبة، مع استخدام أسلوب الترغيب بموجبات الفطرة لاستمالة النفوس نحو الحق.

٤- أن اعتراف الأنبياء بظلم النفس يمثل القمة في تحقيق الافتقار لله، وهو الملمح الذي يفرق بين أوبة الصادقين واستكبار الجاحدين.

وختاماً، فإن هذه المناسبات السياقية تؤكد أن منهج الأنبياء في الأوبة هو منهج حياة متكامل، يجمع بين طمأنينة القلب وصلاح المعاش، ويبقى الباب مفتوحاً لمزيد من الدراسات التدبرية التي تستنطق كنوز الوحي في هذا الباب.

تمت

www.alukah.net

فهرس المراجع والمصادر

١- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، المتوفى: ٥٤٣هـ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المتوفى: ١٣٩٣هـ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ، بتحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٤.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفى: ٦٨٥هـ، بتحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٥- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى: ٧٤٥هـ، بتحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، المتوفى : ١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء : ٣٠.

٧- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبوي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المتوفى: ٧٤١هـ، بتحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٨- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، المتوفى: ٩٨٢هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المتوفى: ٤٦٨هـ، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، عدد الأجزاء: ٢٥.

١٠- تفسير العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى: ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، عدد الأجزاء: ٣.

www.alukah.net

١١- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى: ٧٧٤هـ، بتحقيق محمود حسن، دار الفكر، الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٢- تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المتوفى: ٤٨٩هـ، بتحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٣- تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المتوفى: ٣٣٣هـ، بتحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١٠.

١٤- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المتوفى: ٤٥٠هـ، بتحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

١٥- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، المتوفى: ٧١٠هـ، بتحقيق يوسف علي بديوي، ومراجعة محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣.

١٦- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، المتوفى: ١٥٠هـ، بتحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المتوفى: ١٣٧٦هـ، لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

١٨- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى: ٣١٠هـ، بتحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٤.

١٩- جامع المسائل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس، وإشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ، دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

www.alukah.net

٢١- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي، المتوفى: ١٣٣٢هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣١٢هـ، عدد الأجزاء: ١.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى: ٥٩٧هـ، بتحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٢٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

٢٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، المتوفى: ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٥.

٢٥- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى: ١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٢٦- الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، عدد الأجزاء: ١.

٢٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المتوفى: ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٢٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، المتوفى: ٤٢٧هـ، بتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، ومراجعة الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن، المتوفى: ٧٤١هـ، بتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٠- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفى: ٧٧٥هـ، بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.

www.alukah.net

٣١- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المتوفى: ٧٢٨هـ، بتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، بتحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٣٣- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، المتوفى: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٣٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، المتوفى: ٨٨٥هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

٣٥- الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي المالكي، المتوفى: ٤٣٧هـ، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ١٣.

٣٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ، بتحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

www.alukah.net

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	٤
أولاً: ترجمة موجزة للمناوي	٤
ثانياً: تعريف موجز لكتاب فيض القدير	٥
ثالثاً: بيان معنى: صيغ العموم	٦
المطلب الأول: لفظ (كل) و(جميع)	٧
المطلب الثاني: "من" و "ما" الموصولتان	١٠
المطلب الثالث: "من" و "حيث" و "أنّى" الشرطية	١٢
المطلب الرابع: اسم الجنس المعرف بـ "ال" أو المضاف	١٤
المطلب الخامس: الجمع المعرف بـ "ال" أو المضاف	١٨
المطلب السادس: النكرة في سياق النفي أو الشرط	٢٠
الخاتمة	٢٧
فهرس المراجع والمصادر	٢٨